

التاريخ المعاصر وعلاقته العنصرية بالآزمته الحديثة

د. محمد عبداللطيف البحراوي

ماذا نعني بقولنا التاريخ المعاصر؟



يبدأ التاريخ المعاصر من حيث يمكن أن تنهى العصور الحديثة. والانتقال من عصر تاريخي إلى عصر تاريخي آخر. يقتضى المرور بفترة انتقال. تحدث خلالها تغييرات جذرية في نواح شتى في الحياة البشرية. وكما حدث في الانتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى. ثم في الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. فإن هناك فترة انتقال أيضا تفصل فيما بين العصور الحديثة والمعاصرة. ومهمة مؤرخ الحديث والمعاصر هي أن يكشف عن هذه الفترة الانتقالية. وعما حدث فيها من تغييرات شاملة. جعلتنا كمؤرخين نعتبرها نهاية لعصر. وبداية لعصر آخر.

* تعتبر مادة التاريخ المعاصر شيئا جديدا في تاريخ الجامعات بالنسبة لغيرها من فروع التاريخ ومواده التاريخية. وقد يبدو للمؤرخ أو الباحث المتمكن أن هناك تناقضا ما بين معنى كلمتي : تاريخ معاصر. فكلمة تاريخ تعني حقائق علمية. والحقائق العلمية لا تنحصر إلا في مناح تتعدى فيه المؤثرات أو تكاد. ونعني بالمؤثرات العوامل التي قد تقلل من دقة هذه الحقائق. أو تعوق وضوحها وثباتها. كما تفعل الشوائب بالنسبة للعناصر العلمية المادية. وهذا التناقض يمثل إحدى الصعاب الخاصة التي تتميز بها دراسة التاريخ المعاصر. فكيف تكون إذن الأزمنة المعاصرة تاريخا؟

والفترة الزمنية التي يصطاح المؤرخون على تحديدها للتاريخ المعاصر هي فترة متحركة غير ثابتة، لأن عصر التاريخ الحديث يزحف نحوها باستمرار ويأخذ منها، لأن كل جزء من فترة التاريخ المعاصر تزول عنه المؤثرات المعوقة أو تكاد، وتتور عنه الوثائق اللازمة لدراسته وتحليله. فإن هذا الجزء يصبح تاريخاً. وبالتالي فإنه يصبح تاريخاً حديثاً.

وعلى ذلك فإن التاريخ المعاصر يفقد أجزاء من خلفيته باستمرار ويزحف للأمام بتوالي الزمن. وتتبعه في هذا الزحف عصور التاريخ الحديث. ولذلك فإنه ليس في الجامعات أستاذ للتاريخ الحديث. وأستاذ آخر للتاريخ المعاصر. بل إن فيها أستاذاً للتاريخ الحديث والمعاصر. أو أن هذا هو الذي يجب أن يكون.

والفترات الانتقالية فيما بين عصور التاريخ الرئيسية فترات متداخلة. أو بمعنى آخر فترات يتقصها التقاء التاريخي. فالخبة الفاصلة بين العصور القديمة والوسطية، ليست قديمة خالصة. وليست وسطية نقية. بل هي فترات مختلطة. وكذلك تلك التي تفصل فيما بين العصور الوسطية والحديثة.

وعلى هذا فإن فترة الانتقال فترة انسلاخ. كما ينسلخ النهار من الليل. أو كما ينسلخ الشتاء من الصيف. ومن هنا فنحن نقول : أنه لا ينبغي أن يشار إلى انتهاء عصر أو بدء عصر تاريخي بسنة معينة.

كنا منذ فترة نفق بالتاريخ الحديث عند مقدمات الحرب العالمية الأولى. فلما كانت الحرب العالمية الثانية. وما تلاها من ثورات شاملة في التواحي العسكرية والسياسية والعلمية والاجتماعية، فقد رمى الزحف بالأزمة الحديثة حتى مقدمات الحرب العالمية الثانية. ومن ثم أصبحت الفترة فيما بين الحربين العالميتين تاريخاً حديثاً.

ومعنى هذا القول أن الأزمنة المعاصرة أزمنة متغيرة من الناحية الزمنية. أو بمعنى آخر من حيث البداية والنهاية. وتشبهها في هذا الأزمنة الحديثة من حيث النهاية. بينما تختلف عن ذلك الأزمنة القديمة والعصور الوسطى، باعتبارها أزمنة مغلقة.

ويتضح من هذا العرض أن دراسة التاريخ المعاصر دراسة صعبة. تكتنفها مصاعب جمة.

منها انعدام الوثائق أو قلتها أو عدم الوثوق فيها، وخاصة فيما يتعلق بما نسميه : الموضوعات الحية. مما يضطر الباحث إلى الاعتماد على ما نسميه بالدوريات. ونقصد بها الصحف والمجلات والنشرات، وقد يعتمد الباحث على ما يراه ويسمعه بنفسه، وعلى ما يسجله من وقائع يومية، كما كان يفعل كتاب الوقائع في العصور السابقة.

والأزمة المعاصرة فترة مزدحمة في تاريخ البشرية بالأفكار والمبادئ والصراع، مما يستوجب على مؤرخ هذه الأزمة أن يكون ذا قدرة على التحول والحياد، والفصل بين الذات والموضوع، وأن تكون لديه المقدرة على الموازنة مثلاً بين الوطنية والقومية من ناحية، وبين التعاون الدولي من ناحية أخرى، وغير ذلك من الأمور المتداخلة التي تتميز بها الأزمة المعاصرة.

وكما أن ندرة المادة قد تكون إحدى مصاعب التأريخ للأزمة المعاصرة، فقد تكون كثرة التفاصيل وتدفق المعلومات من الضخامة بحيث لا يمكن السيطرة عليها، وبينما الباحث في الحالة الأولى مضطر للبحث عن المادة، فهو في الحالة الثانية يحتاج للقيام بعملية اختزال وفرز، أو بمعنى آخر عملية تصفية. ويترتب على هذا كله أن أبحاث المؤرخ المعاصر لا بد أن تأتي أقل دقة وثباتاً من أبحاث زملائه مؤرخي العصور الأخرى. بمعنى أنها قد لا ترقى لمرتبة التاريخ.

وقد أدت غزارة المعلومات وتدفعها إلى قيام تنظيمات علمية لأول مرة لا تستند إلى قوة عسكرية أو سياسية، مثل نادي روما، الذي هو عبارة عن فرق متخصصة في الدراسات والأبحاث تعتمد على بنك للمعلومات يختزن مئات الآلاف من المعلومات والإحصاءات ويتم تشغيله إلكترونياً، واكتسب ذلك النادي شهرة علمية عالمية من دراسة نشرها بعنوان : حدود النمو. وغيرها. ومثله المعهد الأطلسي للشئون الدولية، الذي يتكون من رجال دول وأعمال وأساتذة لإجراء بحوث في كل ما يتعلق بالعلاقات الدولية. وتشبه في هذا اللجنة الثلاثية، وأعضاؤها من أوروبا وأمريكا واليابان، وصدر عنها في ١٩٧٥ بحث عن : نقطة التحول في العلاقات بين الشمال والجنوب. وكذلك منتدى العالم الثالث وهو يضم الكفاءات الذهنية المجردة من التبعية الفكرية من أجل تجاوز التقدم المادي إلى القيم الحضارية والاجتماعية المعاصرة.

❖ لماذا تعتبر الأزمة المعاصرة أزمة عالمية؟

قلنا إن التاريخ المعاصر امتداد عصوي للتاريخ الحديث. والأزمة الحديثة أزمة عالمية. فقد كانت الفترة الانتقالية بين العصور الوسطى والحديثة حافلة بأحداث عالمية. نعتبرها نحن المؤرخين : أصول العالم الحديث. ففي منتصف القرن التاسع الهجري. الخامس عشر الميلادي. سقطت القسطنطينية في أيدي الأتراك العثمانيين. وانهدم الجدار الشرقي للمسيحية في أوروبا. وزالت إمبراطورية ها تاريخها الطويل من خريطة العالم. هي الإمبراطورية البيزنطية. أو الرومانية الشرقية. وذلك عصر كانت تسقط فيه الدولة بسقوط عاصمتها. وهو حادث هز التاريخ من جنوره. وأخذ الإسلام يوطد أقدامه في البلقان. ويتحرك عربا لاختراق أوروبا من مشرقها إلى جنوبها الغربي. إلى الأندلس. وأتى تاريخ العثمانيين في عصرهم الأول. كتجربة فريدة ناجحة لتطبيق النظم الإسلامية في مطلع العصر الحديث. وفي دولة مركز النقل فيها في البلقان. وعرفت أوروبا أن المسلمين قوة ثابتة الدعائم في أوروبا. خلافا لمرات الحصار الوقائية العربية للقسطنطينية في العصور السابقة^(١).

وفي أواخر ذلك القرن سقطت غرناطة. وكان عصر التوسع الأوربي. أو عصر الكشف. أو عصر الاستعمار الأوربي الحديث. أو الحروب الصليبية في العصر الحديث. ووصل التهديد الصليبي لأول مرة في التاريخ إلى جنوب العالم الإسلامي. أو بمعنى آخر إلى البحار الإسلامية. وانفتح تاريخ البحرية على مصراعيه. وأضحى تقدم البحرية وتطورها والتحكم في البحار هو أساس عالمية العصر الحديث^(٢). وكذلك الأزمة المعاصرة.

وقد أشرنا إلى أن مقدمات الحرب العالمية الأولى كانت بداية لفترة انتقال من العصر الحديث إلى الزمن المعاصر. ثم حدث الزحف التاريخي الذي أشرنا إليه. وصارت مقدمات الحرب العالمية الثانية هي البداية لفترة انتقال أخرى. وهنا نشير إلى أنه ينبغي أن نعي معنى تسمية الحرب التي قامت في ١٩١٤م بأنها حرب عالمية. وكذلك الحال بالنسبة للحرب التي اندلعت في ١٩٣٩م. وذلك نسبة لم تطلق أبدا في التاريخ على حروب سابقة.

وعن إذا نظرنا إلى تاريخ الاستعمار الأوربي الحديث كمحركة في التاريخ. فإنه يمكننا أن نتصوره كمحركة من أوروبا إلى المستعمرات. بمعنى أن المستعمرات مناطق اكتشافها المكشوفون. وانتقل إليها المستعمرون من أوروبا في العصر الحديث. أما في خلال هاتين الحربين العالميتين. فقد

حدث ما يمكن أن نسميه بالحركة المضادة. حين أخذت أوروبا بفكرة الجيوش الملونة. ونقلت قوات من سكان المستعمرات إلى أوروبا عبر نفس البحار والمحيطات. وتلك حركة أحدثت تحولات جذرية أخذت طابعاً عالمياً. كان من أهمها بدء انحسار الهيمنة الأوروبية واستقلال المستعمرات^(٣).

لكننا لا نوافق المؤرخين الأوروبيين في نظرهم للأزمة الحديثة والمعاصرة على أنها تاريخ أوروبي. صحيح أن الأزمة الحديثة يبدو فيها ما كان لأوروبا من تأثير على تطورات التاريخ. أو كما قلنا التاريخ العالمي. حتى أصبحت كلمة أوروبا لا تدل على المعنى الجغرافي التقليدي. وإنما أصبح معناها تاريخياً: تطور تاريخي هائل كان مركزه في أوروبا.

فإن حركة الكشف والتوسع والاستعمار الأوربي قد افترت بروح المقاومة ضد الإسلام. التي هي امتداد لذلك الصراع الهائل في شبه جزيرة أيبيريا. وهي ما نسميها بالروح الصليبية في العصر الحديث. لكن تطور الحركة البروتستنتية فرق العالم المسيحي. وحول كثيراً من طاقة أوروبا المسيحية إلى الحروب الأهلية في أوروبا ذاتها.

وتلا ذلك تحول آخر بسبب معركة ليبانتو البحرية التي دمرت فيها قوة الدولة العثمانية البحرية. وزب مؤرخ يقول أن الدولة العثمانية ظلت بعد ليبانتو قوية عاتية. لكن أوروبا المسيحية لم يعد يداخلها ذلك الخوف من العثمانيين. أو بمعنى آخر من الإسلام. ومن ثم حلت روح التنصير ونشر المسيحية محل ما أسمىه بالروح الصليبية. أي أن أوروبا أخذت تتجه إلى فتح عقل وثقافي وغزو مكرى تستكمل به غزوها العسكري والسياسي. ثم طغت التجارة على الدين في أوروبا المسيحية حتى كانت الثورة الفرنسية التي غيرت العلاقة الفكرية بين أوروبا وكل من آسيا وإفريقية.

وهنا يجب أن نشير إلى دور الإسلام كأهم عامل من عوامل المقاومة ضد الاستعمار الأوربي. وخلال عصور الاستعمار الضويلة كان للإسلام الفضل الأكبر في تحطيم كل مشروعات الاستعمار بالنسبة للسكان المسلمين في المستعمرات. وظلت الشخصية الإسلامية سليمة على الرغم من محاولات الاستعمار المتعددة والمختلفة الأشكال خدع هذه الشخصية^(٤). والإسلام هو الذي أعطى للدولة العثمانية هذه القوة الحارقة وذلك التماسك الذي حير الأوروبيين

على مدى تاريخها الطويل.

وليس أدل على قوة الدولة العثمانية وتماسكها من أن هذا الغزو الفكري تأخرت نتائجه أكثر من قرن ونصف. أي حتى بدء عصر السلطان عبد المجيد. وكانت الدولة قد أصبحت كما يقول المؤرخون : عارية. بعد أن قضى أبوه السلطان محمود الثاني على يكي جرى. الإنكشارية. ثم انتشرت أوروبا المسيحية فرصة الأزمة التي مرت بها الدولة بسبب حروب محمد علي في الشام. وضغطت على السلطان عبد المجيد فأصدر الحظ الشريف الهابوني. أو ما يسمى بمنشور كلخانة. لأنه قرئ في قصر كلخانة أي سراي الزهر.

ويعتبر هذا الحظ أول تنظيم شبيه بالنظم الأوربية. قام على صياغته وإصداره مصطفى رشيد باشا الذي كان سفيرا للدولة في باريس ولندن ثم كان وزيرا للخارجية. والذي تصفه المصادر الأوربية بالاستنارة والليبرالية. والذي تأثر إلى حد بعيد بالمشترق الفرنسي Sacy. وأخطر ما في هذا الحظ هو إعطاء الذميين نفس أوضاع المسلمين. فهو يمثل بدء إصدار أوامر سلطانية لا تستند إلى حجة شرعية أو فتوى. وفي أعقاب حرب القرم أصدر السلطان خطا آخر. هو في مجموعه تأكيد لما جاء في منشور كلخانة. ومعنى هذا أن هذا الحظ قد مس التقاليد العثمانية مساحطيرا. وتناول الشريعة الإسلامية بالتحريف. ومعناه من الناحية التاريخية اعتراف الدولة عن فواعدها الأصلية⁽⁸⁾.

وهكذا اتخذت الدول الأوربية في غزوها الفكري للدولة مسألة الضوائف غير الإسلامية ذريعة للتدخل في شئون الدولة. ولما حاول السلطان عبدالعزيز الرجوع والعمل على الاستقرار. أثبت عليه أوروبا ذلك واتخذت الدول الأوربية الأزمة المالية كعامل جديد للتدخل. وبرز على مسرح الأحداث في هذه الفترة مدحت باشا الذي تنقل إلى لندن وباريس وبروكسل وعين صدرا أعظم. وتمكن هو وورملاقه من الحصول على فتوى بعزل السلطان عبدالعزيز بحجة عجزه عن إدارة الدولة. وكانت النتيجة كما يقول المؤرخون : « وقوف الدولة في منتصف الطريق » أي بين الإسلام وأوروبا.

أدت هذه التطورات إلى أن يستل السلطان عبد الحميد الثاني عهده بتعيين مدحت باشا صدرا أعظم وإعلان الدستور أو المشروطة İlk Meshrutiyet Devni التي نصت

على إقامة حكومة برلمانية، وبرلمان من مجلسين : مجلس النواب أو المبعوثان ومجلس الأعيان أو الشيوخ^(٦).

ومع هذا اشتركت روسيا مع الدولة في حرب ١٨٧٧ أجبرت فيها الدولة على قبول معاهدة San Stefano وفقدت فيها الدولة بلغاريا وقارص وباطوم، لولا أنها ألقيت في مؤتمر برلين ١٨٧٨. واشتدت أحداث الفتنة الأرمنية ووقعت أعمال إرهابية أرمنية في عاصمة الدولة. فأوقف السلطان المشروطية وفُض البرلمان ونادى بالجامعة الإسلامية. وتلك هي الحركة التي يشير إليها بعض الكتاب بعبارة الانقلاب الحميدي^(٧).

ولعل من أهم المؤرخين الأوروبيين الذين تناولوا دراسة هذه الفترة دراسة تاريخية

Devereux في كتابه : The first Ottoman Constitutional Period

الذي يرى فيه أن مرور الدولة بالأزمات المتوالية هو الذي جعل بعض العثمانيين يعتقدون أن الحل هو إقامة حكومة على النسق الأوربي وخلق نوع من التعاون بين المسلمين في الدولة لتجنب تدخل الدول الأوربية. وهؤلاء كانوا دستوريين لا حبا في الدستور في حد ذاته. ولكنهم رأوا فيه حلاً لأزمات الدولة الخارجية والداخلية.

ويعلق Albert Lyber في كتابه : The Turkish Parliament

على ذلك فيقول إن مشاركة الشعب في الحكم ليس شيئا جديدا على الدولة العثمانية. لأن الشريعة الإسلامية نفسها ديموقراطية بأوسع معاني الكلمة وضد الاستبداد.

وترتبط التطورات التاريخية في هذه الفترة بالضرورة أو القومية التركية وتركيا الفتاة أو عثمانلى تركى وانغاد قوميتى. وكان برنامجها حسب ما جاء في جريدتهم مشورت التي كانوا يصدرونها في باريس : الأخذ عن العرب والعثمة أى التريك والمركزية. ولما أعاد السلطان عبد الحميد الثاني المشروطية واجتمع البرلمان الجديد، كان إلى جانبيهم حزب الأحرار الذي دعا للامركزية. وكان عدد من زعمائه من المسيحيين الذين سمح لهم بدخول البرلمان. وكرد فعل لكل ذلك قام حزب الانغاد الإسلامى الذي كان يرى في المشروطية خروجاً على الشريعة الإسلامية^(٨).

وقد تحدث الكثيرون عن هذه الفترة، وعما أسموه باستبداد عبد الحميد والحريات والليبرالية وأنصار الحرية وغير ذلك. وحين أصدر السلطان المشروطية وصموه بأنه نصير الحرية. وحين أوقفها قالوا إن ذلك اضطهاد للحريات والأحرار والحركة الدستورية. ولكننا كمؤرخين يجب ألا تسويينا هذه الكتابات، وإنما يجب الحكم عليها في ضوء الحقائق التاريخية الآتية :
الأسس التي قامت عليها الدولة العثمانية ومن أهمها الروح الجهادية. والنظم الإسلامية. وموقف الدول الأوروبية والطوائف غير الإسلامية في الدولة من الدولة.

ويسقوط الدولة في أعقاب الحرب العالمية الأولى بحيث أوروبا في غزوها الفكرى أقصى نجاح. والذي يعيننا في زماننا المعاصر أن هذا الغزو الفكرى للدولة العثمانية ما زال حياً نشده في كثير من المؤلفات العربية التي أنتجت عقليات استمدت ثقافتها مما ترجمه دون وعي من مراجع أوروبية. وزاد الأمر ثقافاً قلة الإلمام بالثقافة الإسلامية. والحاجز اللغوى المتمثل في عدم الإلمام باللغة التركية. وكأن الدولة العثمانية عند بعض المؤلفين ما هي إلا الحرم والحصيان. وصدور الدستور أو وقعه. تماماً كما كان يكذب دعاة الغزو الفكرى. مما جعل تصحيح تاريخ الدولة العثمانية واجباً حتمياً.

تلك هي التصورات التاريخية التي أدت إلى أن يشهد مطلع التاريخ المعاصر غياب الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية. وليس أدل على ذلك من حيث المعنى التاريخى من ذلك العنوان الذي أعطاه Garnier في كتابه : "La Fin de L'Emp. Ott."

عنواناً لأحد فصوله وهو : La Republique Kamaliste Ou Le Choix de L'Occident.

وفي هذا المجال أيضاً يجب أن نخلص من دراستنا لتاريخ انتشار الإسلام في أوروبا وآسيا وإفريقية. وتاريخ الاستعمار الأوروبى في العصر الحديث. إلى المقارنة بين انتشار العرب والمسلمين في هذه القارات وانتشار الأوربيين في إفريقيا وآسيا. وأن نستكشف ونكشف فضل العرب والمسلمين ومساعدتهم للإفريقيين والأوربيين والأسبوبيين على النهوض والتقدم. وبناء الحضارات والاعتراف للإفريقيين بحق الأخوة بل والطاعة للحكام منهم. وأن الناس جميعاً متساوون وأنه لا فضل لأبيض على أسود^(٩).

ونتيجة لذلك استعرب كثير من الإفريقيين. وانتسبوا إلى جذع العرب العظيم. ففي السنغال وغانة مثلاً قبائل إفريقية أصيلة اتخذ أفرادها نسباً عربياً. ولا يهتما من موضوعنا هذا أن نبحث إذا كان ذلك صحيحاً أم غير صحيح. وإنما الذي يهنا هو اعتزازهم بذلك النسب. ولعل اتجاه أكثر الدول الإفريقية المستقلة حديثاً إلى تعزيز صلاتها بالعالم العربي هو اعتزازها بالعروبة والإسلام من دور عظيم في تاريخ إفريقية. وينطبق هذا أيضاً على تاريخ المناطق التي انحسر عنها الإسلام في العصر الحديث كنظام للحكم في آسيا. وتاريخ العرب والمسلمين في شبه جزيرة أفريقيا. وفي هذا المجال يمكننا أن نعلل ذلك التعاطف الذي يبدو من بعض دول أمريكا اللاتينية المعاصرة نحو القضايا العربية والإسلامية.

أما الأوروبيون فقد أوجدوا الادعاء بسيادة الرجل الأبيض والاحتكار والاستغلال والتحكم. وخربوا المدن والقرى. بل وخربوا المجتمعات ذاتها. ونزلوا يسكان المستعمرات إلى مرتبة العبيد. أي أنهم أعادوا تاريخهم القديم. ونظمهم الرومانية والإفريقية في المستعمرات في العصر القديم. إلى آسيا وإفريقية في العصور الحديثة. بل وفي التاريخ المعاصر كذلك. وغير هذا مما أشار إليه أحدهم وهو دزموند موريس في كتابه «مجتمعات حديثة حيوانات بشرية»^{١١}. وفي الفصل الرابع من كتابه هذا اعترف بأن البشرية انقسمت بفعل الاستعمار الأوروبي إلى ما أسماه «جماعات داخل النطاق وجماعات خارج النطاق» مشيراً بذلك إلى الأخلاق العنصرية الأوروبية. وحين انتقل إلى الكلام عن تجارة الرقيق إبان عصر الكشف والتوسع والاستعمار. أثبت أنها قامت على أيدي دول أوروبية متحضرة تدعى بالمسيحية.

فما حدث التقدم العلمي في أوروبا. وما يسمى بالانقلاب الصناعي الأول والثاني في أوروبا وأمريكا. وقَّلت الحاجة إلى أيدي الرقيق العامة. فظاهر الاستعماريون بالترعة الإنسانية في مجالين :

أحدهما إعادة الأرقاء الإفريقيين من أوروبا وأمريكا إلى وطنهم الأصل إفريقية ومن ثم قامت سيراليون وليبيريا.

وثانيهما النص في معاهدات الحماية الاستعمارية على إبطال تجارة الرقيق.

وهذا الذي جرى في العصر الحديث هو الذي أدى إلى وجود عالمين في التاريخ المعاصر. لا علم واحد. فقراء وأغنياء^(١١).

إن التحول إلى البحر وتقدم علوم الملاحة ما كان يتحقق للأوروبيين لولا دراستهم المستفيضة لعلوم المسلمين في مطلع العصور الحديثة. وعلى الأخص مؤلفات شهاب الدين أحمد بن ماجد الهامى. صاحب : القوائد في أصول علم البحر والقواعد. وكذلك مؤلفات سليمان بن أحمد المهرى صاحب تحفة القهول. والعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية. والمنهج الفاخر في علم البحر الزاخر. وفي خلال الصراع بين العالم الإسلامي والاستعمار الأوربي الحديث في البحار الإسلامية. واصل قادة البحر العثمانيون تطوير علوم البحار. يتضح ذلك في : سلمان ريس لانيه سى. وفي مرآة الممالك. والمحيط لسيدى على ريس. وفي مرآة الزمان لمراد ريس. وكان بيرى ريس أشهر رسام جغرافي لخرائط البحار. وكان للدولة العثمانية كدولة إسلامية كبرى فية أثر فعال في التطورات التاريخية العالمية لا يقل عن أثر أوربا. بل يزيد عليه في عصر عظمة الدولة. فالأزمة الحديثة أزمنة عالمية. وهي في نفس الوقت أزمة إسلامية - أوربية^(١٢).

وهكذا يمكننا أن نقول إن أهم الظواهر التاريخية في الزمن المعاصر هي نتائج لأسباب في العصر الحديث. أو بمعنى آخر هي ردود فعل لأفعال حديثة. مما يستوجب على الباحث في الأزمة المعاصرة أن يرجع بهذه النتائج إلى أسبابها. أو بردود الفعل إلى الأفعال المتعلقة بها.

فالحربان العالميتان مثلاً كانتا حدثين مدمرين. ولذلك كان السلام والحديث عن السلام في أعقابها. وكانت الحروب الصغيرة من جانب الدول الكبرى وحروب الاستقلال التي خاضها سكان المستعمرات. وكانت عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة كتنظيم دولي لتسوية النزاعات ومنع الحروب. وكان لما أشرنا إليه من صفة العالمية للعصور الحديثة والمعاصرة أن المفكر نفسه قد اتخذ الصفة العالمية. وألقى هذا بدوره على وجود مؤرخين اكتسبوا هم أيضاً هذه الصفة. عن هؤلاء

Bernard L. L. ، صاحب كتاب : War and its Causes

والذي بلغ من وضوح الرؤية أمامه أنه تنبأ في الجزء الأول من مؤلفه هذا باندلاع الحرب العالمية الثانية، وهو الذي فسر الحرب بكونها إحدى الظواهر الطبيعية، شأنها شأن الزلازل

والعواصف وغيرها. وخلص من ذلك إلى المناداة بتنظيم أممي أو ولايات متحدة عالمية أو الدولة العالمية.

وانقسام العالم المعاصر إلى مجموعتين أو كتلتين أو معسكرين هو انقسام اختلف عن الانقسامات التاريخية السابقة. واتسع ذلك الانقسام بوجود أهم بذات التبعية لأي من الكتلتين بمعنى أنها لا تتحاز. وهذه الأمم الغير متحازة اعتبرت التعايش السلمي هو النموذج الأفضل في العلاقات الدولية المعاصرة^(١٣).

كذلك عرف العالم المعاصر ما سمي بالحرب الباردة. تلك الحرب التي اتخذت صوراً مختلفة. ووجد المؤرخ المعاصر صعوبة في أن يضع يده على الخط الفاصل بين الكتلتين. وتعتبر مشكلة كوريا وثورة الجزائر وأزمة كوبا. وقضايا الشرق الأوسط تطبيقات عملية هذه الحرب. وبينما كان مشروع مارشال لإعادة الحياة والتوازن لأوروبا الغربية. فقد كان في المقابل تكوين الكومكون. أو مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة.

وتعتبر التطورات التاريخية المعاصرة بين كل من ألمانيا وفرنسا. والتمثلة في قدرة كل منها على التغلب على الذكريات التاريخية في العصر الحديث. أقوى دليل على الانتقال من العصر الحديث. عصر ازدهار القوميات. إلى الزمن المعاصر. عصر التكتل الأكبر. أو بمعنى آخر عصر ما فوق القومية. وخير مثل تطبيقي على هذا قيام منظمة ومعاهدة شمال الأطلسي

N. A. T. O North Atlantic Treaty Organisation

O. T. A. N Organisation Traite Atlantique North

ويسمىها الفرنسيون

وهذه المنظمة لعبت دوراً تاريخياً في إضعاف النزعة القومية فيما أسماه بالأمرة الأطلسية.

ليس هذا فحسب. بل إن ديناميكية التاريخ المعاصر تصل إلى ما هو أكثر من ذلك. حتى أنه في وقت من الأوقات تبدو الظواهر التاريخية المألوفة مقلوبة. وتبدو بعض القوى المعروفة في الأزمنة الحديثة كأنها قد غيرت مواقعها. وإذا العالم أمام المؤرخ المعاصر كأنه عالم آخر.

ومع أن أوروبا كانت لها هيمنة في كثير من فترات العصر الحديث. فإنها ليست كذلك في الأزمنة المعاصرة. ولذلك قبل إن أوروبا المعاصرة ليست سيدة ولا حتى في دارها. وكان التدمير البالغ السرعة في الحرب العالمية الثانية والحاجة الملحة للتعويض من الأسباب التي ألزمت أوروبا

بالموازنة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية فيما بعد الحرب العالمية الثانية. وهي مرحلة إعادة البناء. مما جعل السلام شعاراً حقيقياً في هذه المرحلة من التاريخ الأوروبي. وتلك هي فترة التفهيم العظيم لأوروبا. قياساً على التفهيم العظيم لتألبون أثناء انسحابه من موسكو في العصر الحديث.

وقد أعطانا المؤرخ الياباني المعاصر نيسا موريس سوزوكي في كتابه : شوا - التاريخ الداخلي لليابان في الربع الثاني من القرن العشرين^(١٥) نموذجاً آخر مشابهاً. وشوا كلمة يابانية معناها : السلام المشع. حدثنا عنه في مرحلتين متتاليتين ومختلفتين تمام الاختلاف. في أولهما كان السلام مجرد شعار وستار. خاضت فيها اليابان سلسلة من الحروب احتلت فيها كوريا ومانشوريا واشتبكت في قتال ضار مع الصين. ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية. حين تحركت طائرات يابانية تجاه الأسطول الأمريكي اعحص للباسيفيكي والذي كان يرسو في ميناء بيرل هاربور في جزر هاواي. وبعد ساعتين كانت سفن هذا الأسطول تستقر في قاع الميناء. واضطرت الولايات المتحدة أن تشترك في الحرب على أوسع نطاق. وهكذا انصى اليابان إلى أن وصلت إلى الكارثة النووية الشهيرة في كل من نجازاكي وهيروشيما في عام ١٩٤٥. ومن ثم انقلب التيار لكي يكون السلام شعاراً حقيقياً عن طريق التجارة والصناعة والتعليم وتصدير خيرة فئة بالغة التقدم. وقدم لنا ذلك المؤرخ الياباني خطة فريدة في بعثه إذ أنه جعل كتابه يحكي قصة تطور السلام إلى شعار حقيقي في اليابان من خلال سيرة حياة ثلاث شخصيات يابانية مواطنين عاديين. وكيف انعكس السلام عليها في المرحلة الثانية مما جعل حياتهم جزءاً من نجاح السلام ومن مكاسبه.

وفي الزمن المعاصر شاع تعبير : العالم الثالث. وينظرة للخريطة ترى أن العالم المقصود بهذا التعبير يكاد ينحصر بين المدارين. ببيا توجد الأمم المتقدمة أو الغنية في النطاق المعتدل. ولذلك وجد من يقسم العالم المعاصر إلى الشمال والجنوب. يفصل بينهما البحر المتوسط.

وكانت دول العالم الثالث لا تشكل كتلة ذات نظام سياسي موحد. فلا يمكن إذن اعتبار العامل السياسي هو علة هذه التسمية. ويرجع فريق من المؤرخين المعاصرين أن التعبير يرمز إلى مجموعة ثالثة تكونت تاريخياً. وأنها نشأت عن انحصار موجة الاستعمار

Décolonisation . ويؤكد هذا أنه يشار إليها أحيانا بأنها الدول الحديثة العهد بالاستقلال .
أى أنها كانت فيما مضى مستعمرات . وتميل المدرسة التاريخية الفرنسية المعاصرة إلى تفسير العالم
الثالث أو Tiers بأنها بمعنى كلمة L'Asie أى أنه عالم آخر يختلف عن الكتلتين
المعروفتين . وهم يرون أحيانا أنه تعبير مرادف للطبقة الثالثة في الثورة الفرنسية . وقد نال هذه
التسمية : P. Jalée: Le Pillage du Tiers Monde.

وحدد تاريخ ظهورها وهو عام ١٩٦٠م وقال إنه عالم لا يدخل ضمن النظامين الرئيسيين في
العالم المعاصر . يما يرى Rostow في كتابه : The Stages of Economic Growth
أنه يمكن فهم هذا التعبير إذا أخذنا التطور التاريخي الاقتصادي معياراً لذلك . إلا أن
Prater في Equilibre entre le développement Economique et développement Social
يفرن معنى هذا التعبير بالتخلف المشابه للوضع في أوروبا قبل التقدم العلمي والثورة
الصناعية . لكن Kuznets في : Under developed Countries and preindustrial
Phase in the advanced Countries
قارن هذا التعبير بالتخلف الناتج عما أسماه الانتفاخ أو التورم المستمر في العالم الثالث . أى
بالانتفاخ السكاني .

ويربط Balandier في كتابه : Consequences Sociales du progres Technique
dans les pays sous - développés.
وجود العالم الثالث بالاستعمار قائلاً إنها ظاهرة تاريخية استعمارية . وكان Clark أكثر
صراحة فيما كتبه في : Les Conditions du Progre Economique .

حين قال إن هذا التعبير يجب أن يتغير إلى تعبير آخر يدل على الواقع التاريخي المعاصر بأن
نقول : إنها البلدان التي كانت تحت سيطرة الآخرين والتي ورثت من هؤلاء الآخرين اقتصاداً
مشوهاً . ودعا هذه البلدان إلى أن تدخل في نوع من الوحدة والتحالف ضد من سبق أن
استغلواهم . والسؤال الملح في عاقتنا المعاصرة :

كيف السبيل لأن نجتاز دول العالم الثالث هذه المعجزة؟.

إننا كعالم إسلامي لا ندخل في نطاق هذه القضايا ولا تلك المسيمات . فتحن عالم يرتكز

إلى عقيدة فما أقيمت الفكرية في كل هذه العصور التاريخية. ولما بعد تاريخي. كتطبيق محدد لهذه العقيدة والنظم المتعلقة بها. ولعل ذلك رفضاً اصطلاح الشرق الأدنى والأوسط. وقلنا نحن العالم العربي. والآن نعلن بكل ثقة وجداوة أننا العالم الإسلامي.

وفي تاريخنا المعاصر. نرى كمؤرخين. أن العالم قد أخذ يتحول عن كثير من الظواهر التاريخية في العصر الحديث. ويستجيب لتلك البقعة الإسلامية في العالم الإسلامي. بل وفي كل أنحاء الدنيا المعاصرة.

ولاستشراق الذي أخذ في العصر الحديث أداة لكي يفرض بها الغرب نفسه على غيره. في صورة غير صادقة هذا الغير. والذي بدأ كهواية ثم تحول إلى حرفة. واضعاً نفسه في خدمة الاستعمار الغربي. والذي أخذ في توضيف المعرفة بالعالم الإسلامي والشرق عامة لخدمة السيطرة الاستعمارية الأوروبية. والذي بذل جهده لإرغام العالم على أن يعتقد أن كلمة الشرق مساوية لمعنى التخلف. وأن كلمة الغرب معناها التحضر والتقدم سعياً وراء تفويض البنية الاجتماعية وإعدادها للتحويل نحو نموذج عربي. هذا الاستشراق قد أخذ يظهر في التاريخ المعاصر بمظهر جديد هو تحرير الاستشراق من الأغراض الاستعمارية والتنصير والانحياز إلى أغراض البحث العلمي. والسعي إلى محاولة اكتشاف كنوز التراث الإسلامي. ومن ثم كان الاعتراف المتوالي بأن حضارة الإسلام كانت ذات أثر حاسم في إقامة الأساس الذي انبثقت عنه الثقافة والحضارة الغربية الحديثة. ولعبت كليات الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية دوراً حاسماً في هذا التحول. ومن ثم نحن نلاحظ كمؤرخين للعصور الحديثة والمعاصرة أن هذا التحول لم يلاحظه من ثم لا يزالون لا يرون في الاستشراق إلا صورته السابقة التقليدية. ومداها الزماني في العصر الحديث.

لذلك ليس عجب أن نرى في ثنايا هذا التحول الجدري العميق والذي نسميه الاستشراق الجديد. مؤرخين أوروبيين معاصرين كرسوا جزءاً من حياتهم لخدمة التاريخ الإسلامي. وواجهوا بأنفسهم التيار التاريخي الاستعماري في العصور الحديثة. وصمم على سبيل المثال : Charles - André Julien Marcel Emeri الذي قام بالتدريس فترة طويلة بجامعة الجزائر ووقع مع الجزائريين « بيان المثقفين ». ثم حتم حياته بالتدريس في جامعة Lille .

ومن أهم ظواهر هذا التحول، المؤتمرات التاريخية الدولية أو العالمية التي اشترك فيها علماء التاريخ الحديث والمعاصر من العالم الأوربي والعالم الإسلامي جنباً إلى جنب. والتي صدرت عنها بحوث غزيرة عميقة تم عن هذا التحول. والتي اتخذت صفة تصحيحية. منها : مؤتمر التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط والذي عقد في لندن يولييه ١٩٦٧. في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية. وممن اشترك فيه الأستاذ الدكتور خليل الساحلي أستاذ التاريخ الاقتصادي بكلية الاقتصاد بجامعة استانبول. والذي أخذ على عاتقه إعادة عرض التاريخ الاقتصادي العثماني عرضاً ممتازاً.

والمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام من ١٥١٦ - ١٩٣٩م، في ديسمبر ١٩٧١م. والمائدة المستديرة العالمية حول « الموريسكيين وزمانهم » والذي نظم هذا المؤتمر هو الأستاذ Louis Cardillac من جامعة Paul Valery ١٩٨١م تحت إشراف المركز الوطني للبحث العلمي بباريس C. N. R. S. وهذا المؤتمر تنمة لمؤتمرات سابقة أسفرت عن تشكيل اللجنة العالمية للدراسات الموريسكية : Comité International d'Etudes Morisques مما أدى إلى ثراء وتعدد فكري تاريخي حول الأندلس.

ومؤتمر الولايات العربية ومصادر وثائقها في العصر العثماني الذي عقد في تونس ١٩٨٢م، وكانت لجنة قد تشكلت في بروكس في تركيا في ١٩٧٢م تحت اسم : Comité International d'Etudes Pré-Ottomanes et Ottomanes.

وعقدت بالتعاون مع معهد الدراسات الشرقية بجامعة نابولي مؤتمرين أحدهما في سراجيفو في يوغوسلافيا. والثاني في هامبورج بألمانيا. ويؤخذ من حصيلة ما نشرته تلك المؤتمرات من بحوث أن هناك انجهاها علميا معاصرا في علم التاريخ فحواه العودة بالتاريخ إلى شموليته التي كان عليها. واعتباره العلم الشامل لكل الإنتاج الفكري للبشرية. كما تدل على ذلك تجارب المعهد التطبيقي للدراسات العليا بفرنسا Ecole Pratique des Hautes Etudes والحوليات Les Annales التي تصدر عنه.

ولعل كل هذا يدعو إلى أهمية مواكبة حركة البحث التاريخي العالمي وتفعيم روافده وإثرائه وخلق اهتمامات جديدة تعالج حالة الفقر الفكري التاريخي^(١٧).

فتنا إن من عوامل الاستشراف الجديد اللفظة العلمية الإسلامية المعاصرة. وهذه اللفظة ترد إلى ظهور الدعوة السلفية والتكليف لها في نجد قلب الجزيرة العربية في أواسط العصر الحديث. وإلى ما أسفر عنه ذلك من وجود مدرسة تاريخية سلفية. كان إنتاجها العلمي التاريخي عاملاً من عوامل تأثير الحركات الإصلاحية الأخرى في العالم الإسلامي بحركة التوحيد والإصلاح. هذه الحركات المتأثرة تناوفاً بالتأليف التاريخي مؤرخون معاصرون كبار عنوانوا مؤلفاتهم بأن هذه الحركات : دين ودولة. وجاءت عناوين مؤلفاتهم هذه ردّاً على عزو فكري أوربي في العصر الحديث. وعلى ذلك يكون المعنى التاريخي أنه لا علمانية في الإسلام. ومن ثم انحسرت موجة العزو المكري الأوربي. بل وشهد العالم المعاصر حركة فكرية إسلامية عازية. وتميز الزمن المعاصر بوضوح أكثر في الرؤية وفي الحصانة.

إن العلمانية والحركة الدستورية أو الحكم المفيد في تاريخ أوروبا الحديثة كانت حلولاً تاريخية لأوروبا المسيحية. لماذا؟

لأن المسيحية نظام روحي لم ينظم للمسيحيين شئون الحكم. وجاء تاريخ أوروبا في العصر الوسيط وعصر النهضة صفحة دموية في التاريخ الأوربي. وحاولت أوروبا خلال قرنين من الزمان أن تجيب على سؤال فحواه : أيها أعلى البابا أم الإمبراطور؟ ومن ثم كان الصراع بين البابوية والإمبراطورية. وكانت الحروب الدينية والمذهبية أو الأهلية. فلما كانت أوروبا في عصرها الحديث. عصر الكشف والتجارة واتساع العلوم. فقد رأى الأوروبيون الأخذ بالنظام العلماني. ومعناه فصل الدين عن الدولة. تجنباً للأهوال التي شهدتها أوروبا في عصرها الوسيط وفي عصر النهضة. الذي يمكن اعتباره فترة الانتقال بين العصرين الوسيط والحديث.

لكن في العصر الحديث اضطرت الطبقة الجديدة. طبقة رجال المال والأعمال التي نشأت بسبب الكشف ونمويل التجارة العالمية وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر أن تتعاون مع الحكام ضد الطبقة الأرستقراطية الزراعية، التي كانت لها السلطة حين كانت الأرض مصدر الثروة. فلما تجاوز الحكام حدودهم اضطرت هذه الطبقة أن تخوض صراعاً آخر لإصدار دساتير تبين حدود الحاكم والمحكومين.

ومن ثم كانت الحركة الدستورية. أو حركة نظام الحكم المفيد. التي هبت على أوروبا من

عربها إلى وسطها وشرقها^{۱۸} ابان العصر الحديث. وهذا هو معنى قولنا أنها كانت حلولاً تاريخية لأوروبا.

لكن الإسلام دين شامل. نظم للمسلمين كل أمور دنياهم وآخرتهم. وجاء تطبيق النظم الإسلامية في عصر الراشدين صورة مشرقة في تاريخ الإسلام بل وفي تاريخ البشرية جميعاً. وجاء تاريخ الأمويين والعباسيين والعتانيين في عصرهم الأول شاهداً على شمول الإسلام^(۱۸). وصلاحيه النظم الإسلامية وكفاءتها لكل زمان ومكان. فنحن لسنا كعالم إسلامي في أى حاجة للعناية أو للدساتير الوضعية. وذلك هي الحقيقة التي أعتدت ترسخ وتتضح خلال هذا الزمن المعاصر.

وإذا كانت أوروبا الحديثة قد تخلت في يوم ما كما أشرنا عا أنبياء تاريخياً الروح الصليبية والحل العسكري. إلى الغزو الفكرى. فإن العالم الإسلامى في أزمانه المعاصرة ينبغي أن يركز على غزو فكرى إسلامى. وفتح عقل بكل الوسائل التي يتيحها التقدم الصناعي والتقى. وأن تسير الرغبة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية. كحركة داخلية جنباً إلى جنب مع الفتوحات الفكرية والغزوات العقلية كجهد خارجى، وللإسلام كمقيدة هيمته التي هي أقوى ع يطلق عليه في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة: دبلوماسية الذرة.

وإذا كانت العصور الحديثة هي عصر البحرية. مما جعل Mahan مؤرخ البحرية يعطى كتابه الذي ترجمه Boisse من الألمانية إلى الفرنسية. عنوان :
Influence de la Puissance Maritime dans L'Histoire.

وحمل اسماعيل سرهنتك يؤلف كتابه المسمى : حقائق الأخبار عن دول البحار. الذي انتهى منه في عصر السلطان عبد الحميد الثاني. فإن الزمن المعاصر هو عصر الطيران. مما حدا بالمؤرخ R. J. Overy أن يعون كتابه عن الحرب العالمية الثانية بقوله :
The Air War 1939 - 1945.

وإذا كنا قد أوضحنا أن العصور الحديثة أزمنة عالمية. وأنها عصور إسلامية أوربية. فقد تحققت المشاركة الإسلامية في صنع التاريخ المعاصر الذي هو كما قلنا امتداد عصوى للتاريخ الحديث. وتمتد جذور ظواهره فيه. وضرنا على ذلك الأمثلة. بعاملين أساسيين. أحدهما ثبات الدولة السلفية الحديثة في شبه الجزيرة العربية بعد جهاد استغرق قرناً من الزمان وتقدمها

المصطرد في جميع الميادين. وثانيهما قيام منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات النوعية المتفرعة عنها.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم يزحف مؤرخو العصور الحديثة في العالم العربي مع زحف هذه العصور؟ ولماذا لم تزل نبوءات التاريخ الحديث تتركز على موضوعات تقليدية. ولماذا تجاهل أهمية التاريخ المعاصر وربط موضوعاته بتدويرها في العصر الحديث. مما نتج عنه شبه انفصال عن الواقع؟.

فنا إن التاريخ الحديث يزحف دائما للإمام ويفتضع من التاريخ المعاصر. وأشرنا إلى أن الحرب العالمية الأولى والثانية كانتا علامتين بارزتين لحدود هذا الزحف والاقتطاع.

فما هي تنبؤات مؤرخ العصور الحديثة والمعاصرة للمرحلة القادمة لاتساع العصر الحديث وتقدم الأزمنة المعاصرة للأمم؟

إن التكافؤ النووي في الزمن المعاصر قد أدى لاستحالة الحرب النووية. وهذا بدوره قد أدى إلى أن الوفاق هو الخيار الوحيد. وهو أسلوب العمل في المجتمع الدولي المعاصر في ظل الرعب النووي. وهذا التكافؤ هو الذي أجبر القوتين على تجنب محاطر المواجهة. وانقضاء ثلاثين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية جعل من السهل إشاعة قدر من الثقة في القبول المتبادل للأوضاع التي تمخضت عن توازن القوى بعد الحرب. تعنى دخول العالم في مرحلة تطور عالمي أجبرت الجميع على التعاون. وعلى مبدأ الأخذ والعطاء وتجاوز الحدود القومية إلى الدائرة العالمية. وإيجاد عالم بلا حرب. والانتقال من عهود العدو المشترك إلى عهد التعاون المشترك. وهكذا أنتجت دبلوماسية الذرة ما سمي في وسائل الإعلام العربية بالوفاق.

إن الحرب العالمية الثانية لم تستكمل بمؤتمر للصلح أو معاهدة للصلح. كما جرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى. ذلك لأن الطرف الغالب انقسم في أعقاب هذه الحرب إلى قسمين أو كثلين. بينها تناقض أساسي.

من ثم كان لا بد من بديل لمعاهدة الصلح التي كان يجب أن تعقد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ومؤتمر Potsdam ١٩٤٥ لم يزد عن كونه قد أدى إلى اتفاقية نظمت إزالة الصمة

النازية وانتزاع الروح العسكرية من ألمانيا وتقسيمها . وتنظيم محاكمات نورمبرج . وعدم تقسيم اليابان .^(١٠)

لذلك كان مؤتمر القمة للأمن الأوروبي . الذي يعتبر أكبر قمة في التاريخ بوجه عام . وذلك للتوقيع على اتفاقية التعاون والأمن الأوروبي . والتي تفضي بالاعتراف بالأوضاع والحدود القائمة في أوروبا . والموافقة عليها موافقة جماعية للشرق والغرب . وأعدت خطة المؤتمر فيها يعرف بالسلات الخمس وهي :

الأمن والحدود . والتعاون الدولي . وحرية الفكر وانتقاله . ومتابعة قرارات المؤتمر . والسلة الأخيرة خاصة بالعلاقات مع العالم الثالث الذي يملك المواد الاستراتيجية . وكان انعقاد هذا المؤتمر خطوة لا بد منها لاضفاء الشرعية على جانب من العلاقات الدولية في التاريخ المعاصر . وفي الثاني من أغسطس ١٩٧٥ تم التوقيع على الوثيقة التاريخية للأمن الأوروبي . ولأول مرة اتفقت دول الشرق والغرب معاً على صيغة هامة للسلام كهدف سياسى مشترك . وبدأ عصر جديد يمكن أن نسميه : عصر هلسنكى^(١١) .

وعلى أثر ذلك زالت انفعالات الحرب الباردة . وتراخت الأعصاب . ودخل العالم مرحلة الانفراج في العلاقات الدولية المعاصرة .

هل هو وفاق أم انفراج؟

إن الكلمة التي وردت في وثيقة المؤتمر Entente فسرها الغرب بأنها تخفيف حدة التوتر . بينما فسرتها الكتلة الأخرى بالتعايش السلمي . الذي هو في الحقيقة تعايش إكراهى . لأن الظروف التاريخية التي أعقبت الحرب الثانية جعلت كلا من القوتين ليست لديها القوة الكافية أو الظروف الملائمة للتفصاء على الأخرى . فلا بد لها أن يعيشا في ظل توازن معاصر أو توازن متغير . ومع أن هذا الوفاق قد خفف من حدة المواجهة بين القمتين . فهو لم يترتب عليه مثل ذلك في مناطق كثيرة من العالم المعاصر . ولكن جو الانفراج قد ولد دول عدم انحياز في أوروبا ذاتها . وترتب على ذلك كله انطال المواجهة بين الدول المتقدمة والعالم الثالث . لأن الانقسام إلى عنى وفقر بدأ يفرض وطأته بسبب استمرار اتساع الفوة بين الجانبين .

وعلى هذا يمكننا أن نعتبر بدء عصر هلنكي أو الوفاق نهاية لعصر سابق. وبداية لعصر جديد. وأن الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٧٥ م في طريقها لأن تتحول إلى تاريخ حديث.

المراجع

- 1 Paul Coles. The Ottoman impact on Europe P 33 - 75, 107 - 153.
- 2 Jung Les Arabes et L'Islam en face de nouvelle Croissades. P 35 - 47
- 3 Sykes A Hist of Exploration P 80 - 103
- 4 The new Cambridge modern Hist V 8 Ch 8 European Relations with Asia and Africa P 218 - 251
- 5 عبد الوهاب منصور : علماء العرب العرقي ج ١ ص ١٥ - ٨٥
- 6 محمد اموي : مظاهر النهضة العرب الحديث ج ١ ص ٣ - ٢٥
- 7 حمد مدحت : أسس انقلاب. طبعه ثان ص ٣٥ - ٤١
- 8 Alex. W. Hidden: The Ottoman Dynasty Ch 33 P 326 - 342
- 9 Garnier: La Fin de L'Empire Ottoman Ch 8
- 10 Barber. The Lords of the Golden Horn. From Suleiman the Magnificent to Kamal Atatürk. Part 2 P 100 - 110
- 11 Shaw: Hist. of the Ott. Emp. and mod T. V 2. P 272 - 339.
- 12 Pears E. Life of Abdul Hamid Ch 12, 13
- 13 Sourdel: La Civilisation de L'Islam Classique Premiere Partie
- 14 Elliot Hist. of India as told by its own Historians V 6 P. 1
- 15 (١٠) بعض مجتمع الدول الأوربية الاستعمارية
- 16 J. Bandine Some Account of the trade in Slaves from Africa as Connected with Europe and America. P. 9 - 24, 30 - 36.
- 17 The African Slave trade from the fifteenth to the nineteenth Cent V 1 & 2.
- 18 أنطونيو د. مبعث. رمارد جسد : تاريخ انوريسكيين. حياة ومأساة إحدى الأقليات. مجلة أوراق ٢ - ١٩٧٩ ص ١٢٦.
- 19 Chameta: La que se Sabia Sobre et Gálfo Arabe en La Península Iberica S. 16y 17.
- 20 ما عرف في شبه الجزيرة الأيبيرية عن الخليج العربي. تعريب وتقديم مجلة أوراق ٢ - ١٩٧٩ ص ١٣٥.
- 21 أحمد محمد عطية : أحمد بن محمد النعم والأسناد والشاعر والمثلكي والباح ورائد علم المرسدات البحرية. مجلة الوثيقة. العدد الثاني. السنة الأولى ربيع الأول ١٤٠٣ هـ. ص ١٥٦ - ١٧٣.
- 22 سول كوتيش : وصف البحرين لأحمد بن محمد. الوثيقة. العدد ٤ السنة ٢ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ.

- (١٣) مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحارة المنعقد بالجزائر ٢ - ٩ سبتمبر ١٩٧٣. البيان السياسي.
14. J. Gunther: Inside Europe Today Ch. 18, P. 237-245.
- (١٥) ترجمة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- (١٦) محمد شفيق غربال : مباحث مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم - القسم الأول.
- (١٧) د عبدالحليل النيسى . كلمة . المجلة التاريخية العربية . السنة العاشرة العدد ٢٩ - ٣٠ يوليو ١٩٨٣ . ص ٩ - ١١
18. Lybyer: The G. of the O. E. P. 170 - 230.
20. Churchill: The Second World war. Ch. 37, 38 P. 532 - 555.

المصادر والمراجع

- ١ - اسماعيل سرهنتك : حقائق الأخبار عن دول البحار . طعة أولى . بولاق مصر ١٣١٢.
- ٢ - محمد شفيق غربال : مباحث مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم . مطبعة نفقة مصر ١٩٦١.
- ٣ - عبد الوهاب منصور : أعلام العرب العربى . ج ١.
- ٤ - محمد المنونى : مظاهر يقظة المغرب الحديث ج ١.
- ٥ - مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحارة . الجزائر ١٩٧٣ : البيان السياسي.
- ٦ - ترجمة محمد شفيق غربال Carl L. Becker
المدينة الفاضلة عند فلاسفة القرن الثامن عشر.
- ٧ - نيسا موريس سوزوكى . ترجمة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : شووا - التاريخ الداخلي لليابان.
- ٨ - مجلة أوراق . ٢ - ١٩٧٩ يصدرها المعهد الإسباني العربى للثقافة . مدريد.
- ٩ - مجلة الوثيقة . السنة ١ عدد ٢ . ١٤٠٣ هـ . السنة ٢ عدد ٤ . ١٤٠٤ هـ .
- ١٠ - المجلة التاريخية العربية . السنة ١٠ عدد ٢٩ - ٣٠ . ١٩٨٣.
11. Garnier: La Fin de L'Empire Ottoman. باريس ١٩٧٣ م.
12. Jalee: Le Pillage du Tiers Monde.

13. Jung: Les Arabes et L'Islam en Face de Nouvelle Croisades
14. Mahan ترجمة Bousae
Influence de la Puissance Maritime dans L'Histoire
15. Piatier Equilibree entre le developpement Economique et developpement Social
16. Sourdel D: La Civilisation de L'Islam Classique ماريس ١٩٦٨م
17. Tocquville. L'Ancien Régime et la Révolution
18. Le Monde. Numéros Aug., Sep., Oct. 1975.
19. Bandinel, J.- Some account of trade in slaves from Africa as Connected with Europe and America. لندن ١٩٦٨م
20. Barber, N.: The Lords of the Golden Horn Part 2
21. Churchill, W. S. Second world war. V 1 - 6
22. Devereux. The First Ottoman Constitutional Period.
23. Gunther, J.: Inside Europe Today. لندن ١٩٦١م
24. Hidden, A. W. The Ottoman Dynasty نيويورك ١٩١٢م
25. Elliot Hist. of India as told by its own Historians V 6
26. Lybyer, A. H. The Government of the Ott. Empire in the time of Sulman the Magnificent
27. The Air War 1939 - 1945. لندن ١٩٨٠م
28. Life of Abdul Hamid. لندن ١٩١٧م
29. Rostow The Stages of Economic Growth
30. Sykes/ A Hist. of Exploration
31. Shaw- Hist. of the Ott. Empire and Mod. Turkey V 2. لندن ١٩٧٧م ضبعة أول.
32. The New Cambridge Modern Hist. V. 14 لندن ١٩٧٨م



**أريد رجالا يعملون بصدق وعلم واخلاص، حتى اذا اتكل
عليّ أمر من الامور، رجعت اليهم في حله، وعملت
بمثورتهم فتكون ذمتي سالمة وتكون المسئولية عليهم
وأريد الصراحة في القول ..**
«عبد العزيز آل سعود»